فتنة تجديد الخطاب الدينى ومواسم الهجوم على الإسلام والمسلمين

محمد سعد زغلول سالم

الإثنين ٢٦ يونيو ٢٠٢٣

يتجدَّد الهجوم على الإسلام والمسلمين مع بدء مواقيت العبادات السنوية التى شرعها الله للمسلمين .. فيسْتَّلُ المنافقون والملحدون والجاهلون سيوفَهم الخشبية أو الورقية ويشرعونها فى الهواء فى مشهد مثيل لمشهد دون كيشوت وهو يحارب طواحين الهواء للإجهاز على هذه العبادات .. فيبدؤون مع بدء صوم شهر رمضان الكريم فى الهجوم على الصوم كعبادة لا فائدة منها لأنها تضر الجسم وتضعفه أو كعبادة يجب ألا يلتزم بها سوى الأغنياء لأن الفقير ليس فى حاجة إلى معاناة المزيد من الجوع أو كعبادة يمكن حتى لمن يستطيع أداءها التحلُّل منها بإطعام فقير أو مسكين .. الخ الخ .. إلى آخر هذه الهراءات التى يتقيؤونها علانيةً وعلى رؤوس الأشهاد لأنهم فى مأمَنٍ من العقاب الذى يستحقه من يسْعَى بالإفساد والإضلال فى دين العوام الغافلين من المسلمين الذين أكتفوا من دينهم بمعرفة وترديد الشهادتيْن ولا شىء أكثر.

ثم يُعاود قطعان المنافقين والملحدين والجاهلين الكرَّة مرةً أخرى مع بدء شعائر الحج فيتبارون فى بيان وثنية شعائر الحج بدءاً من تسفيه الطواف حول الكعبة بينما هى مجرد مبنى من الأحجار وليس أكثر .. والسخرية من شعيرة السَعْى بين تلتَّيْن من الصخور تقليداً لأسطورة أو خرافة ما فعلته أم فى بحثها عن الماء بين هذه الصخور لإنقاذ إبنها من الموت عطشاً .. وتحقير شعيرة التضحية بالإفتاء بجواز التضحية بالطيور والدواجن بديلاً عن بهائم الأنعام .. وإنتهاءاً بالسخرية من شعيرة رَمْى الجمرات لإستهداف الشيطان الذى لا يوجد سِوى فى عقولهم .. الخ الخ .. إلى آخر هذه الهُراءات والتُّرَهات التى يتقيؤونها بلا خجَل أو حياء علانيةً وعلى رؤوس الأشهاد أيضاً بدون خوفٍ من مساءلة أو عقاب.

ومما يثير الأسف أنَّ تصاعُد وتيرة هذه الهجمات وحِّدَتِها التى فاقت فى فجورها حدودَ الحق فى النقد المقبول أو حدودَ الحق فى التساؤل بُغْيَة المعرفة تزامنَ مع دعوةٍ جاهلية وجاهِلَة حَمَلَت شعار تجديد الخطاب الدينى لتتوافق أحكام الشريعة أو التراث مع متطلبات المواثيق الدولية المعاصرة التى وضعت نصْب أعينها فى المقام الأول هدم وتغييب الإسلام عن جميع مجالات الحياة بالهجوم على كل عقائده ومصادره وعلى عبادات المسلمين ومعانيها وعلى مصادر فهم ومعرفة المسلمين لكل ما يخفَى عليهم إدراكُه من دقائق دينهم وشرائعه والتى تكفلت الأحاديثُ الصحيحية والسنة الثابتة عن الرسول صلى الله عليه وسلم بتبيينه وتوضيحُه لهم.

ويثيرُ هذا التزامُن بين إطلاق شعار تجديد الخطاب الدينى وبين تصاعد حِّدَّة الهجمات المتكررة على الإسلام والمسلمين تساؤلاتٍ عديدة عن الأهداف الكامنة وراءَه يدركها كُلُّ صاحب عقل ولكنها لبالغ الدهشة تظل خافية على الكثرة الغالبة من المسلمين الغافلين والجاهلين وغيرُ المُبالين بما يُدبره لهم ولدينهم بلَيْلٍ شياطينُ الإنس الذين لن يتوقفوا عن سعْيهِم إلى ما يريدون وهو سعْىٌ خبيث مآلُه الخسران المبين مثلما كانت عاقبته على مدار أربعة عشر قرناً من الزمان لم تتوقف خلالها هُراءات وخرافات وأكاذيب المنافقين والمُلحدين والجاهلين أو مؤامرات أعداء الإسلام من غير المسلمين منذ بدأت رسالةُ الإسلام الخاتمة لدين الخلائق جميعاً حتى يومِنا هذا.

وتتبدى جوانبُ الجاهلية فى شعار تجديد الخطاب الدينى فى التجاهُل والتغافل عن مقصوده الحقيقى .. كما تتبدى جوانبُ الجهل فيه فى الغفلَة والسَهْو عن معناه الشرعى واللُغوى أيضاً. فالخطاب الدينى أربع خطابات ذات قدسية لا يجرؤ مسلم مؤمن بدينه على التعرض لأىٍ منها لأنها تتضمن ركائزَ إيمانِه وإعتقاده وعباداته ومعاملاته. أول هذه الخطابات الخطاب الإلهى للناس جميعاً مثلما يتضح فى العديد من آيات القرآن الكريم التى يخاطب الله فيها خلقَه جميعاً من مسلمين وغير مسلمين كالآيات الكريمة التى تبدأ بقوله تعالى (يا أيها الناس). وثانى هذه الخطابات الخطاب الإلهى للرسول صلى الله عليه وسلم التى تتضمن الوحى المكلف بتبليغه إلى الخلق جميعاً وكذا إلى المسلمين المؤمنين كالآيات التى تبدأ بقوله تعالى (يا أيها النبى). وثالث هذه الخطابات الخطاب الإلهى للمؤمنين حصراً والذى يتضح فى الآيات الكريمة التى تبدأ بقولِه تعالى (يا أيها الذين آمنوا). وآخر هذه الخطابات الدينية هى أوامر ونواهى الرسول صلى الله عليه وسلم المكلف من الله بتبليغها للمسلمين والمؤمنين مثلما تتضمنها الأحاديث الصحيحة والسنة النبوية الثابتة عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

ورغم هذه البديهيات المنطقية الواضحة فى فهم معنى ومقصود الخطاب الدينى إلا أنه ومنذ إطلاقِ الشعار الخبيث الداعى إلى تجديد الخطاب الدينى صارت هذه الدعوة بمثابة التكِئَة التى يرتكز عليها كُلُّ منافق يتلَفَّع برداء الإسلام للكَيْدِ له وكُلُّ مُلْحِد وكاره للإسلام فى تبرير هجومه على ثوابت العقيدة وشعائر العبادات التى صارت هدفاً يتجدَّد الهجوم عليه كُلَّ عام مثلما يحدث مع صوم شهر رمضان الكريم ومع الحج بالهُراءات والترهات والأكاذيب والشبُهات التى ما عادَت تُجدى نفعاً وما كانَ لها أن تُجدى نفعاً وقد تعهد الله بحفظ دينه الأخير المُرسَل للخلائق عَّلَهُم يفيقون من غفلتهم وعَّلَهُم يُدركون الحق وعَّلَهُم قبل أن يفوتَ الأوان يهتدون إلى الصراط المستقيم. والله غالِب على أمْرِه وَلَكِنَّ أكثرَ الناس لا يعلمون.